(٣)

وجهاء العرب والمقاطعة «المنسية» في أوراق الجامعة العربية !

★★ زمان : مقاطعة البضائع فى البرامج الانتخابية لنواب فلسطين فى البرلمان «العثمانى» .

★★ والآن : الهرولة إلى إسرائيل ، أقصر الطرق للرضا «الأمريكانى» !

□■□

★ وجهاء العرب والصهاينة «معاً» على موائد المندوب السامى البريطانى .

★ ومظاهرات الأهالى ترغم الوجهاء والسماسرة على مقاطعة هذه الموائد !

□■□

★ كيف ظهرت أول جمعية «سرية» لمنع بيع الأراضى الفلسطينية لليهود ؟

★ ولماذا «تناست» الجامعة العربية التاريخ «الشعبى» لمقاطعة الصهاينة ؟!

□■□

★★ متى ظهر أول «جيتو» يهودى فى التاريخ ؟

★★ ولماذا ظهر - أولاً - فى موطن نشأة «المافيا» ؟!

□■□

★ اليهود فى الأندلس «الإسلامية» :

«تعلموا الطب والفلك والرياضيات - على أيدى علماء المسلمين - فى المساجد»!

★ والمسلمون تحت الاحتلال الإسرائيلى حالياً :

«تحصدهم رشاشات الصهاينة فى ساحة الحرم الإبراهيمى» !!

التاريخ «الحقيقى» لمقاطعة العرب لإسرائيل .. مكتوب -كما قلت - على طريقة أنور السادات .

ليس فقط على طريقته فى التزييف .. والتحريف .. والتلوّن !

وإنما أيضاً : فى الإهدار .. والإنكار .. والسرية . !

والسبب أنا وأنت وحكامنا .. وجامعة الدول العربية . !!

كيف .. ؟! تعالوا نرى .

★★★

«فكرة مقاطعة الصناعات الصهيونية ، نشأت تحت تأثير ازدياد الوعى العربى العام ، وشعوره بخطر السرطان الصهيونى الذى أخذ يتمركز فى قلب الوطن العربى .. وهذا الخطر ظهر بوضوح فى محاولات الصهاينة ، تركيز صناعاتهم فى فلسطين ، وتدفق اليهود من أنحاء العالم إليها » .

هذا هو حرفياً الرأى «الرسمى» الذى ورد على الصفحة الثامنة من كتاب «مقاطعة إسرائيل : قواعدها وأهدافها » الصادر فى أغسطس سنة ١٩٥٦ عن المكتب الرئيسى للمقاطعة .. والتابع - طبعاً - لجامعة الدول العربية . !

وعلى نفس الصفحة ، يرى نفس الكتاب أن «تاريخ هذه المقاطعة العربية للكيان الصهيونى ، قد مر بمرحلتين ، تختلف كل منهما عن الأخرى .. فى أغراضها ووسائلها » .

●● المرحلة الأولى : تبدأ بالقرار الذى اتخذه مجلس جامعة الدول العربية - منذ أكثر من خمسين عاماً مضت - فى جلسته التى انعقدت فى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٤٥ وتنتهى فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٠ «.. وإن كانت المقاطعة فى هذه المرحلة لم يكتمل لها أسباب الإحكام» هكذا يقول نفس الكتاب الصادر عن الجامعة العربية .

●● والمرحلة الثانية : تمتد من شهر أغسطس سنة ١٩٥٠ وحتى الآن .. وتبدأ بتلك

"التوصية» التى صدرت عن اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية فى شهر أغسطس ١٩٥٠ والتى سرعان ما أصبحت «قراراً عملياً» .. أقره مجلس الجامعة فى شهر مايو سنة ١٩٥١ .. و«يقضى بإنشاء مكاتب للمقاطعة فى كل دولة عربية على أن تعمل هذه المكاتب تحت إشراف مكتب رئيسى مقره دمشق»

★★★

الرأى «الرسمى» لجامعة الدول العربية - كما رأينا - يقسم تاريخ المقاطعة العربية للكيان الصهيونى إلى مرحلتين فقط .. وهذا الرأى فى تقديرى «ظالم» ومجحف .. ويتجاهل مرحلة «شعبية» هامة وأساسية تسبق المرحلتين اللتين ذكرهما الكتاب الصادر عن الجامعة العربية .

ربما : لأن هذا التقسيم «الرسمى» كما نعلم .. صادر عن جامعة «دول وحكومات» وليس عن جامعة شعوب وأحزاب وتنظيمات شعبية ونقابية . !!

وربما : لأننا فى الدول العربية وكما قلت من قبل .. قد اعتدنا - خلاص !! - على هضم دور الشعوب وتجاهل حقها . !

وشيوع أو تداول مثل هذا «التأريخ الرسمى» لمراحل المقاطعة العربية وتطورها .. يجعل التاريخ «الحقيقى» لمقاطعة العرب للكيان الصهيونى وكأنه «تاريخ سرى» لا يعلمه أحد .. ذلك لأن التاريخ ، إن قرأناه جيداً فسوف نجده دائماً يفضح ويشده ، حتى ورقة التوت التى تستر عورة الحكومات وأصحاب المصالح من الحكام والسماسرة والجواسيس وتجار التاريخ . !

وشيوع مثل هذا التأريخ الرسمى «الحكومى» لمراحل المقاطعة العربية وتطورها .. يذكرنى أيضاً بتلك المحاولة «الفاشلة» التى حاول السادات من خلالها ومن خلال أبواقه الرسمية ، ودكاترة تاريخه الحكومى . أن يزيف التاريخ «الحقيقى» لثورة يوليو ١٩٥٢ .. وينسب لنفسه «فضل» تأسيس ، وتخطيط ، وتكوين ، وتحضير ، وتنظير ، وتفجير ، و .. «كل حاجة» تتعلق بثورة ٢٣ يوليو .. من خلال تلك اللجنة «الرسمية» التى ابتدعها ، وإنشأها بقرار منه، وجعل نائبه وقتها - حسنى مبارك - رئيساً لها ، وأسماها «لجنة إعادة كتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢» !! .. بهدف النيل من عبد الناصر وتاريخ عبد الناصر . !

وطبيعى : كان لابد أن تموت مثل هذه المحاولة "المريبة" بموت صاحبها أنور السادات ، الذى أجمعت كل المصادر التاريخية على أنه ، وباعترافه ، كان مع زوجته جيهان فى السينما ليلة أن كان عبد الناصر ورفاقه يفجرون الشرارة الأولى للثورة . !!

طبيعى : كان لابد أن تموت مثل هذه المحاولة .. رغم الأموال التى أهدرها السادات من قوت الشعب المصرى على تلك اللجنة وأعضائها الواحد والعشرين ، والتى قفزت جملة المكافآت والعطايا التى حصلوا عليها عام ١٩٧٦ إلى ثلاثة وخمسون ألف جنيه .. ثم

تضاعف هذا المبلغ وقفز عام ١٩٧٧ إلى (١١٩) ألف و٣٠٠ جنيه بالضبط .. ليصبح جملة المبلغ المهدر والذى حصل عليه واحد وعشرون فرداً فقط خلال عامين هو مائة واثنان وسبعون ألف و٣٠٠ جنيه بالضبط ، وذلك من واقع أرقام الميزانية "الرسمية" للجنة المقدمة إلى الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة فى ٢٧ فبراير ١٩٧٧ .. وهى الميزانية التى حصل عليها كاتب هذه السطور ونشرها فى - حياة السادات - على صفحات العدد رقم (٢٥٥٥) من مجلة «روزاليوسف» الصادر فى ٣٠ مايو سنة ١٩٧٧ .. علماً بأن هذا المبلغ الذى لم يكذبه أحد حتى الآن ، هو فقط المبلغ المهدر تحت بند واحد فقط هو حرفياً وكما جاء فى الميزانية المذكورة «بند المكافآت وبدل الضيافة ، وحضور الاجتماعات" التى عقدتها اللجنة إياها ، خلال عامين فقط ، بدعوى كتابة شئ «وهمى» ولم يخرج إلى الناس حتى الآن .. واسمه الحقيقى «التاريخ الحكومى الذى يرضى السادات» . !!!

★★★

ولأننى لا أكتب التاريخ «الحكومى» الذى «يرضى» جامعة الدول العربية أو حكوماتها .

لأننى أحاول تنشيط ذاكرة العقل العربى «الأحوج» حالياً إلى تذكيره بالتاريخ الحقيقى للمقاطعة العربية لإسرائيل .. قلت أن هذا التقسيم «الظالم» لنشأة المقاطعة وتطور مراحلها فى الأوراق والمطبوعات الصادرة عن الجامعة العربية ، يشوه التاريخ «الحقيقى» ويتجاهل مرحلة «شعبية» هامة فى مسيرة المقاطعة العربية للكيان الصهيونى .. تلك المسيرة التى يزيد طولها الآن عن ١١٥ عاماً فى عمق التاريخ .. والتى تبدأ منذ تلك المرحلة التى استخدام فيها الشعب العربى فى فلسطين المقاطعة العربية للسلع اليهودية ، كأحد أسلحة المقاومة الشعبية ، التلقائية ، والعفوية ، فى مواجهته للموجه «الأولى» لهجرة اليهود إلى فلسطين ، والتى تحدد الموسوعة الصهيونية على صفحة (٢١٣)، بدايتها بعام ١٨٨٢ والتى تقول نفس الموسوعة أنها «كانت رد فعل لفكرة المقاطعة الاقتصادية التى ابتدعها المستوطنون الصهاينة، وكانوا البادئين بها » منذ فجر تسللهم إلى فلسطين .. حيث كانوا يمتنعون عن شراء البضائع والحاجيات من المتاجر «العربية» ويمتنعون أيضاً ، عن الاستعانة بالأيدى العربية العاملة » .. ورغم أن هذه السياسة اليهودية لم تكن معلنة ، إلا أن الجمعية الصهيونية كانت تسهر بطرقها الخفية على تطبيقها بدقة وإتقان »[1] .

وحينما تنبه العرب فى فلسطين .. وأدركوا فداحة الخطر الصهيونى ، وتزايد تسلل اليهود، وسعيهم الخفى للسيطرة على مقدرات الحياة وسبلها فى فلسطين .

حينما شعروا بتفاقم هجرة اليهود ، وتمركزهم فى فلسطين .. رأى العرب فى المقاطعة

(١) جوزيف مغيزل : «المقاطعة العربية والقانون الدولى» صفحة (٥٦) سلسلة دراسات فلسطينية - العدد (٢٨) - بيروت - فى فبراير ١٩٦٨ .

اليومية للسلع اليهودية «سلاحاً» مساعداً لإضعاف النمو اليهودى المتلاحق على أرض فلسطين .. حيث تألفت لجان شعبية من "المسلمين والمسيحيين" بالاتفاق مع ما عرف وقتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر العربى الفلسطينى ، وبالاتفاق مع ما عرف بعدها أيضاً بالهيئة العربية العليا ، وبمؤازرة الصحافة العربية الفلسطينية .. أخذت هذه اللجان الشعبية «العفوية» تدعو الأهالى والتجار العرب إلى مقاطعة السلع اليهودية ، ووقف التعامل مع التجار اليهود .. أملاً فى أن يحد ذلك من تقدم الانتاج الزراعى والصناعى اليهودى ، ومن تطوره ، وبالتالى يخفف من تدفق المهاجرين اليهود على فلسطين .

وكان من أبرز إيجابيات هذه المرحلة الشعبية من المقاطعة العربية «العفوية» للمتاجر ، والتجار اليهود .. أن أضطرت الشركات العالمية إلى أن تجد لها وكلاء من العرب الفلسطينيين فى مقابل وكلائها اليهود فى فلسطين .. بهدف تصريف منتجاتها بين الفريقين فى وقت واحد .

وربما تكون هذه المرحلة «الشعبية» فى تاريخ المقاطعة العربية لليهود ، هى أيضاً أحد الأسباب غير المباشرة التى ساعدت - إلى حد ما - ومرور الوقت على تكوين «الجيتو» اليهودى فى فلسطين .. أى ساعدت على تكوين أحياء «يهودية» تجارية من جهة .. وأحياء «عربية» تجارية من جهة أخرى فى فلسطين .

وبالمناسبة : كلمة «جيتو» التى تطلق على أى حى يهودى فى العالم .. «بعض المصادر»[1] ترى أنها أصلاً ، مشتقة من كلمة «بورجيتو» الإيطالية .. وتعنى «حياً من أحياء المدينة» .

وأول جيتو فى التاريخ .. أى أول حى يهودى عرفه التاريخ ، أقامه اليهود لأنفسهم ، وبإرادتهم فى إيطاليا ، موطن نشأة «المافيا» العالمية .

وبالضبط : فى مدينة البندقية عام ١٥١٦ ميلادية .. أى منذ ٤٨٠ عاماً بالضبط .

أما السبب ؟! فقد تعددت الأسباب و«الجيتو» .. واحد .

فى فلسطين : كان السبب الذى دفع اليهود إلى أن ينشئوا لأنفسهم ، وبأنفسهم أحياء يهودية خالصة ، هو عداء اليهود للعرب .. وامتناعهم عن شراء حاجياتهم واحتياجاتهم من المتاجر العربية .

وفى أوربا : كان السبب الذى دفع اليهود إلى أن ينشئوا لأنفسهم - وبأنفسهم - أول حى يهودى فى التاريخ ، هو العداء الدينى بين المسيحيين واليهود .

---

(١) وجيه أبو ذكرى : «الإرهابيون الأوائل» - صفحة (٢٠) - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - فى يناير ١٩٨٧ .

يقول وول ديورانت : «العداء الدينى بين المسيحيين واليهود فى أوربا الكاثوليكية .. هو الذى أدى إلى فصل عنصرى بينهما .. وهذا الفصل جاء فى أول الأمر طوعاً ، ثم بات قسراً فيما بعد .. وتمثل فى إنشاء أول حى يهودى سنة ١٥١٦ ميلادية»[١] .

كان ذلك – كما يقول ديورانت – فى دول شرق وشمال أوربا المسيحية .

أما تحت راية الإسلام .. فها هو الدكتور حسن ظاظا يقول : «على أثر الفتح الإسلامى للقسم الجنوبى لأوربا ، أى على أثر الفتح الإسلامى لأسبانيا والبرتغال ، عاشت الجالية اليهودية ، تحت راية الإسلام فى حرية ، وأمن ورخاء ، بفضل النظم الإسلامية الخاصة بأهل الذمة ، حيث كانوا يعفون من الجهاد ، ويدفعون لحمايتهم ، وحماية ممتلكاتهم ، ضريبة معلومة تسمى الجزية ، وبعد ذلك ، هم أحرار فى ممتلكاتهم ، وعباداتهم ، ومواريثهم ، وثقافتهم .. بل ووصل الأمر فى الأندلس إلى أن المسلمين ، كانوا يسمحون لليهود ، ولغيرهم من أهل الذمة ، بحضور الدروس فى جامع قرطبة مثلاً .. باستثناء دروس القرآن الكريم .. ويفضل هذه الدروس ، برع الكثيرون منهم فى علوم اللغة العربية ، والرياضيات ، والفلك ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والصيدلة ، وغيرها من فروع العلوم الدنيوية .. فى الوقت الذى كان فيه اليهود الشماليون أو الإشكناز فى نفس الفترة يعيشون فى عزلة تامة، عن بقية المجتمعات الأوربية التى رفضت اليهود ولفظتهم ، فتقوقعوا فى أحياء خاصة بهم .. تلعنهم الكنائس المسيحية على منابرها ، وتمقتهم القلوب المسيحية فى صلواتها ، لأنهم أعداء الله وقتلة المسيح»[٢]

من كل ما سبق : يمكن القول بأن المقاطعة العربية لإسرائيل ، قد مرت بثلاث مراحل .. لا مرحلتين «فقط» كما تقول المطبوعات «الرسمية» لجامعة الدول العربية .

●● المرحلة الأولى : هى مرحلة «شعبية ، عفوية» إعتمدت على مقاطعة أبناء فلسطين للسلع اليهودية فى الفترة من عام ١٨٨٢ .. أى منذ العام الذى بدأت فيه الموجه "الأولى" لهجرة اليهود إلى فلسطين .. وحتى ظهور الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ .

●● والمرحلة الثانية : هى مرحلة تدخل الجامعة العربية ، ومشاركة بعض الدول والحكومات العربية فى مقاطعة الكيان الصهيونى .. وتبدأ هذه الفترة بالقرار الذى اتخذه مجلس الجامعة العربية فى الثانى من ديسمبر ١٩٤٥ .. وتنتهى فى عام ١٩٤٩ .

●● والمرحلة الثالثة : وهى مرحلة تنظيم المقاطعة وتقنينها .. وهذه المرحلة ، تبدأ بتلك

---

(١) وول ديورانت : «قصة الحضارة» الجزء الخامس من المجلد السادس صفحة (١٤٣) – ترجمة : محمد على أبو دره – القاهرة – فى عام ١٩٧٢ .

(٢) دكتور حسن ظاظا : مقال «اليهود والبيض والفهود السود» – منشور بمجلة الفيصل – صفحة (٤١) – العدد ١٩٩ – فى يوليو ١٩٩٣ .

"التوصية" التى أصدرتها اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية فى شهر أغسطس ١٩٥٠ والتى سرعان ما تحولت إلى «قرار» عملى أقره مجلس الجامعة العربية فى مايو ١٩٥١ .. وقضى بإنشاء «مكاتب للمقاطعة فى كل دولة عربية ، على أن تعمل هذه المكاتب تحت إشراف مكتب رئيسى مقره دمشق» [١] وبالتالى ظهور ما عرف بعدها باسم القوائم السوداء ، وهى القوائم التى تتضمن أسماء الشركات والأفراد والهيئات والمؤسسات المتعاملة مع الكيان الصهيونى ، ومقاطعتها هى الأخرى .. وهذه المرحلة تبدأ من عام ١٩٥١ وحتى الآن .

★★★

وفى الحقيقة : نستطيع القول أيضاً بأن المقاطعة العربية على مدى التاريخ ، لم تكن إلا سلاحاً من أسلحة المقاومة العربية ، وهى بهذه الصفة ، لم تكن موجهة ضد الأشخاص أو السلع ، أو الصناعات ، أو المنتجات الصهيونية فقط .. وإنما كانت - ويجب أن تظل - موجهة ضد كل الغزاة ، وضد كل أشكال الغزو والتسلل .

وكما قلنا من قبل : التاريخ .. إن قرأناه جيداً ، فسوف نجده يفضح وبشدة ، حتى ورقة التوت التى تستر عورة الحكومات وأصحاب المصالح المشبوهة .

وما أشبه اليوم بالبارحة : ذلك لأن التاريخ أحياناً يعيد نفسه بالفعل ، مع إدخال بعض التعديلات البسيطة ، لزوم تغير الأماكن والأسماء .

ومن لا يصدق : يستطيع أن يقرأ - مثلاً - ناجى علوش فى كتابه الهام «المقاومة العربية فى فلسطين» حين يذكرنا بمواقف المندوب السامى البريطانى «واكهوب» .. ويفضح سياساته فى التقرب من "الزعماء والوجهاء العرب» وقتها .. وما نجم عن هذه السياسة «من إندفاع السماسرة العرب فى تسهيل بيع الأراضى العربية للصهاينة فضلاً عن قيام هؤلاء السماسرة والمندوب السامى البريطانى بترويج فكرة التعاون بين العرب واليهود من خلال إكثار الإنجليز ومندوبهم السامى من إقامة المآدب والحفلات والاجتماعات التى كانوا يدعون إليها زعماء ووجهاء العرب والصهاينة معاً» . !!

وما أشبه اليوم بالبارحة ..

ومن لا يصدق ..يدلنى على الفرق بين ما يفعله الأمريكان حالياً من خلال ولائم، وصحف، وبحوث ، ومؤتمرات ، وكامبات ، واتفاقيات ومنح وعطايا هذه الأيام .. وبين ما كان يفعله الإنجليز مع زعماء العرب واليهود زمان .!!!

(١) «مقاطعة إسرائيل - قواعدها وأهدافها» - الجامعة العربية - منشورات المكتب الرئيسى لمقاطعة إسرائيل - صفحة (١٥) - أغسطس ١٩٥٦ .

الفرق الوحيد : هو أن هذه المؤتمرات والاتفاقيات والصفقات «المشبوهه» التى يعقدها حكام وسماسرة وأبواق هذه الأيام مع العدو الصهيونى ، قد أصابت الشعوب العربية بحالة من الاحباط و«القرف» والغثيان .. دون أى رد فعل شعبى حاسم حتى الآن .

أما تلك الولائم والاجتماعات والإتجاهات الاستسلامية التى أوجدها الإنجليز بين وجهاء العرب وملوكهم زمان.. فقد أفرزت وقتها - كما يقول ناجى علوش - ردود فعل شعبية عارمة .. ونتيجة لهذه الضغوط الجماهيرية الناقمة إضطرت اللجنة التنفيذية العربية ، والتى كانت قد تكونت من أهالى فلسطين زمان .. اضطرت إلى الدعوة إلى عقد اجتماع شعبى عام .. وهو المؤتمر الحاشد الذى انعقد بمدينة يافا فى ٢٦ مارس ١٩٣٣ وكان فى مقدمة قراراته : «تقرير مبدأ اللا تعاون بين العرب والصهاينة .. والبدء فوراً فى مباشرة وتنفيذ أولى درجات هذا المبدأ ، بمقاطعة الحفلات والمجاملات مع الحكومة ومع لجان الحكومة .. ومقاطعة البضائع الإنجليزية واليهودية معاً» .. وهو طبعاً ما لم تفعله شعوب هذه الأيام تجاه هرولة «وجهاء» العرب وحكامهم ، لمسح «أحذية» الصهاينة والأمريكان دون حياء ، وقبل عودة كل الحقوق والأراضى العربية المحتلة .. رغم كل هذه "الوقاحة" والمهانة التى يعاملهم بها حكام أمريكا وإسرائيل يومياً . !!!!

●● وحينما أتحدث هنا عن خيبة أملى فى ردود فعل الشارع العربى - هذه الأيام !!!! - لا أنكر بالطبع المواقف الوطنية المشرفة للعديد من الأفراد والنقابات والمنظمات واللجان الشعبية والعمالية والمهنية فى مصر التى لازالت ترفض التطبيع وتفضح أبواقه .. ولا أنكر أيضاً جهود ومساهمات العديد من الصحفيين والكتاب والأدباء والفنانين وشرفاء الشعب العربى فى مصر لفضح سماسرة التطبيع وخطورة إنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل قبل عودة كل الحقوق العربية المغتصبة .

●● أنا هنا لا أنكر كل هذه الجهود الوطنية المشرفة .. ولكنى - فقط !! - أحلم بثورة «شعبية» عارمة ، تجتاح كل ربوع الوطن العربى والإسلامى ، وتقتلع كل جذور الخونة والسماسرة من بيننا .. وتطهر أرضنا العربية الطاهرة من دنس الصهاينة ، ورجس الأمريكان.

★★★

هذه واحدة

والثانية : هى أننى أستطيع القول أيضاً ، بأن المقاطعة «كسلاح» من أسلحة المقاومة العربية ، لم تظهر إلى الوجود «العربى» فى عام ١٩٣٣ فقط .. وإنما بدأت ، فى فلسطين مثلاً ، أيام الحكم العثمانى مع بداية "الموجة الأولى" لزحف اليهود وهجرتهم إلى فلسطين عام ١٨٨٢ .. أى منذ ما يصل إلى ١١٥ عاماً بالتمام والكمال .

وإذا كانت السنوات الخمس الأولى فى عمر هجرة اليهود إلى فلسطين ، قد مرت «هادئة».. فإنها سرعان ما شهدت تحولاً واضحاً ، وانقلاباً ملموساً فى موقف عرب فلسطين تجاه هذه الهجرة ، بعد أن بدأوا فى «التنبه» إلى خطورة الزحف الصهيونى على بلادهم .. بل وأصبح من المألوف وقوع صدامات «مسلحة» بين العرب والمستوطنين اليهود كما حدث عام ١٨٨٦ ، وكما سنرى تفصيلاً بعد قليل .

ويوماً بعد يوم : نضجت المقاطعة العربية لليهود فى فلسطين ، وتبلورت ، واشتد عودها من خلال الممارسة ، ومن خلال الكفاح الشعبى أثناء الانتداب البريطانى ، وأثناء الحكم العثمانى ، وقبل اندلاع الثورة العربية الكبرى فى عام ١٩٣٦ «وزادت أهمية المقاطعة العربية كسلاح مقاومة ، فى أواخر أيام الانتداب البريطانى على فلسطين ، الأمر الذى دفع جامعة الدول العربية فى الثانى من ديسمبر ١٩٤٥ ، وهى لا تزال مؤسسة وليدة ، إلى الشعور بوجوب الاهتمام بالمقاطعة العربية ورعايتها .. خصوصاً بعد أن تطورت الأمور بسرعة وأعلنت إسرائيل عن قيامها .. حيث أخذت المقاطعة العربية بعدها ، وضعاً سياسياً ، وقانونياً جديداً فى طبيعته ونوعيته» [١]

هذا هو مثلاً دكتور كامل محمود خله فى كتابه «فلسطين والانتداب البريطانى» الصادر فى مايو ١٩٧٤ يؤكد أن المصادر اليهودية نفسها تعترف بأن الاستيطان الصهيونى «قد أثار أول موجه من المخاوف والاحتجاجات التى دلت على بداية مقاومة الشعب العربى للمشروع الصهيونى فى فلسطين»

وفى مقدمة هذه المصادر .. ساق لنا كتاب «فلسطين والإنتداب البريطانى» على صفحته السابعة ما قاله واحد من أهم هذه المصادر اليهودية الشهيرة ، هو «ألسبرج» حيث أكد أنه فى السنوات الأولى لهجرة اليهود إلى فلسطين والتى حصرها بين عام ١٨٨٢ وعام ١٩٠٣ «.. سمعنا اعتداءات عربية على المستوطنين اليهود ، وعن خلافات وصدامات عديدة وقعت بين العرب واليهود فى فلسطين» أيام الحكم العثمانى .

وهذا هو أيضاً دكتور عبد الوهاب الكيالى فى كتابه الشهير «تاريخ فلسطين الحديث»الصادر فى بيروت عام ١٩٧٠ يؤكد أن «الصدامات المسلحة بين الفلاحين العرب والصهاينة الغزاة عام ١٨٨٦ قد بدأت عندما قام الصهاينة بمهاجمة الفلاحين العرب المطرودين من قراهم المغتصبة» وبالذات فى قرية الخضيرة ، وقرية مليس ، التى أسماها اليهود بعدها بتاح تكفا .. وهذه الصدامات - يقول الدكتور الكيالى - أنها هى التى دفعت الحكومة العثمانية فى عام ١٨٨٧ إلى «فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهيونيين الذين كانوا

(١) هانى الهندى : «المقاطعة العربية لإسرائيل» سلسلة دراسات فلسطينية - صفحة (٤٢) - العدد (١٠٤) - ببروت فى مايو ١٩٧٥ .

يتسللون إلى فلسطين ويدخلونها كسياح» . إلا أن هذه القيود ، كانت غير جدية ، وتنقصها الفاعلية ، بسبب حالة الضعف والانهيار التى تميزت بها السلطة العثمانية وقتها .

★★★

وإذا كان الفلاحون العرب هم أول من حمل السلاح ضد الصهاينة ، فإن الهجرة اليهودية وقتها ، قد أثارت مخاوف أخوتهم المهنيين والتجار ، وأغلبهم من المسيحيين العرب ، نظراً لما انطوت عليه هذه الهجرة من خطر المنافسة .. ثم سرعان ما شملت هذه المخاوف قطاعات لم تتضرر مباشرة من هجرة اليهود فى مراحلها الأولى .. حيث قام وفد من «وجهاء» القدس المسلحين فى مايو ١٨٩٠ بتقديم احتجاج ضد «متصرف القدس» بسبب محاباته للصهاينة .

وفى ٢٤ يونيه ١٨٩١ قام أيضاً وجهاء القدس بتقديم عريضة أخرى «للصدر الأعظم»[١] .. أى رئيس الوزراء العثمانى .. طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وتحريم امتلاكهم للأراضى فيها .

ومعروف أن الحركة الوطنية الفلسطينية ، قد تبنت منذ تلك الفترة ، مطلبين شهيرين ، بقيا لعشرات السنوات أهم شعارات الكفاح الوطنى الفلسطينى ، وهما «إيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ومنع بيع الأراضى العربية للصهيونيين» [٢]

يقول هانى الهندى فى كتابه الهام «المقاطعة العربية لإسرائيل» أن العرب فى هذه السنوات .. أى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، قد لجأوا إلى كل أساليب الكفاح "السياسى»غير المسلح .. ولعبت الصحافة العربية ، والنواب العرب فى مجلس «المبعوثان» .. أى فى البرلمان العثمانى .. دوراً هاماً وبارزاً «فى إثارة مسائل هجرة الصهاينة إلى فلسطين وشرائهم للأراضى العربية بها وإستيطانهم فيها .. وخطر ذلك على وجود العرب ومصيرهم فى فلسطين» .. إلا أن هذه المقاومة التى اتخذت وقتها «طابعاً فردياً» .. بعيداً عن التنظيم والتخطيط ، قد أخذت تتبلور ، وتتطور تدريجياً ، وكان وراء هذا التبلور والنمو عوامل ثلاث .

● أولها : استمرار الهجرة وتزايد المشروعات الصهيونية ، وإتساع الوجود الصهيونى ، واتخاذه طابعاً ظاهراً من التنظيم والعلنية ، ظهر واضحاً بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى بمدينة بال بسويسرا فى ٢٧ أغسطس ١٨٩٧ .

● والثانى : هو أن الموجه الثانية من المهاجرين الصهاينة الذين جاءوا إلى فلسطين بعد الثورة الروسية الأولى فى ١٩٠٥ قد تميزت بنوعية أفرادها الذين حملوا أفكاراً سياسية ،

---

(١) مجلة شئون فلسطينية - صفحة (٧٤) - العدد رقم (٣٦) فى أغسطس ١٩٧٤ .
(٢) هانى الهندى : مصدر سابق

وعقائد أيدلوجية ، وخبرات تنظيمية «حزبية ونقابية» متقدمة ومتنوعة .

● والثالث : تزايد شعور العرب بتواطؤ الحكم العثمانى وتغاضيه عن هجرة اليهود لفلسطين ، وعن شرائهم للأراضى بها والاستيطان فيها .. وتزايد شعور العرب أيضاً ، بأن هذا «التغاضى» العثمانى ، هو فى حقيقته لأسباب تركية ، دولية .

وعليه فقد انعكس تأثير كل هذه العوامل الثلاثة على العرب ، ووجدوا أنه لا مفر من الاعتماد على أنفسهم . بعد أن تأكدوا من أن السلطة العثمانية غير راغبة فى وضع حد للغزوة الصهيونية لفلسطين .. وتجلى هذا الاعتماد على الذات ، فى ظهور تطور بارز فى مسيرة المقاطعة العربية .. هو أن التصدى لخطر الاستيطان اليهودى فى فلسطين قد بدأ ينتقل من مرحلة العفوية والتلقائية .. إلى مرحلة التخطيط ، والتنظيم ، وتوحيد الجهود .

بدليل : ما كتبه ألبرت عنيتبى فى أكتوبر ١٩٠٩ مؤكداً أنه قد تم «تشكيل منظمة سرية محلية ، من المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين ، مهمتها الأولى ، هى الحيلولة دون بيع الأراضى العربية لليهود ، أما عام ١٩١٠ فقد شهد هو الآخر دعوة صريحة وعلنية إلى مقاطعة جماعية للبضائع اليهودية رداً على مقاطعة اليهود للبضائع والأيدى العاملة العربية»[١] .. بل وامتدت مقاومة الأخطار الصهيونية إلى البرامج الانتخابية لمرشحى «متصرفية» القدس فى مجلس "المبعوثان" ، أى البرلمان التركى وقتها .. حيث صرح راغب النشاشيبى أحد مرشحى القدس فى انتخابات ١٩١٤ بأنه «سوف يبذل أقصى جهوده ، إذا نجح فى الانتخابات لإزالة الخراب ، والخطر الذى يتهدد المواطنين العرب فى فلسطين ، من الصهيونية والصهيونيين» [٢] .. فانتخب بأكثرية فائقة ، وفاز بعضوية «مجلس المبعوثان» التركى .. وتوالت بعدها ظهور الجمعيات والمنظمات الشعبية - العلنية والسرية - فى باقى مدن فلسطين .

وبالطبع : لم تكن مثل هذه المنظمات المحلية الشعبية هى وحدها التى تقود ، أو تدعو إلى مقاطعة اليهود والحيلولة دون بيع الأراضى لهم فى فلسطين .. وإنما تقتضى الحقيقة ، أن نقرر بأن الصحافة العربية فى فلسطين ، وفى خارج فلسطين - وقتها - كانت تقف بقوة إلى جانب هذه المنظمات «السرية» .. بل ولعبت الصحافة دوراً هاماً وفعالاً فى توعية الرأى العام العربى ، وحثه على مقاومة الخطر الصهيونى . الذى يهدد العرب جميعاً .

كيف .. ؟!

تعالوا نرى .

◆❑◆

(١) دكتورعبد الوهاب الكيالى : «تاريخ فلسطين الحديث» -صفحة (٦٠) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - فى عام ١٩٧٠ .

(٢) مجلة شئون فلسطينية - صفحة (٨٦) - العدد (٣٦) - فى أغسطس ١٩٧٤ .